بسم الله الرحمن الرحيم

(١٦٩) ﴿ حديث النهى عن الصلاة حين طلوع الشمس وغروبها ﴾

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ وَلَا تَحَيَّنُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ أَوِ الشَّيْطَانِ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ

ظاهر الحديث يدل على النهى عن الصلاة عند ظهور حاجب الشمس حتى تبرز وعند غروب حاجبها أيضا حتى تغيب والكلام عليه من وجوه

﴿ منها ﴾ هل هذا النهى على عمومه فى المكتوبة وغيرها أوفى النافلة لاغير أوهذا فى النافلة مطلقا ما كان منها مأمورا به ومرغبا فيه أو ما كان منها بنفل دون أمر به وترغيب فيه مثال المأمور به تحية المسجد وماأشبهها والمرغب فيه مثل سجود التلاوة وما أشبه ذلك وهل إذا بدت كلها تجوز الصلاة أو حتى ترتفع ﴿ فالجواب ﴾ عن الأول وهو قولنا هل ذلك فى المكتوبة أوغيرها أما المكتوبة فلا يخلو أن يكون نسيها أونام عنها أوغير ذلك فان كان تركها عن نوم أونسيان فليصلها متى ماذكر فى ذلك الوقت المنهى عنه وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم «من نام عن صلاة أونسيها فليصلها إذا ذكرها فذلك وقتها» وأما إن كان تأخيرها لعذر شرعى مثل الحائض تطهر والغلام يحتلم فذلك وقت أدائها فى حقهما ومن أشبههما من أهل الاعذار الشرعية وإن كان تأخيرها لذلك الوقت مع الذكر والقدرة فقد اختلف العلماء فيه فمنهم من قال أنه مؤد واقتدى فى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقدأدرك العصر» وأما إن كانت الصبح فقد خرج الوقت وهو آثم بلا خلاف ومنهم من قال أنه فى صلاة العصر مؤد آثم لقوله صلى الله عليه وسلم «يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس وكانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعا لايذكر الله فيها إلا قليلا فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين» وهو مشهور مذهب مالك وما ابتدأ نافلة من غير أن يعارض هذا الحديث أمر كما تقدم أو ندب فلا ولا خلاف أعرف فيه وأما ما كان يعارضه ندب أوترغيب كما ذكرنا فاختلف العلماء فى ذلك على قولين فمنهم من أجاز وهو مذهب الشافعى رحمه الله ومن تبعه ومنهم من منع وهو مذهب مالك رحمه الله ومن تبعه إلا أن فى مذهب مالك رحمه الله فى الصلاة على الجنازة قولين من أجل الخلاف هل هى على الوجوب أم لا

وكذلك فى سجود التلاوة فى مذهب مالك قولان أيضا ﴿ وأما الجواب ﴾ على جوازها إذا بدأ القرص كله فالظاهر من الحديث الجواز وقد جاء فى سنن أبى داود حتى ترتفع قدر الرمح وقد جاء فى أثر آخر حتى ترتفع قدر عصاتين وعلى ارتفاعه قدر الرمح هو العمل عند الفقهاء لأن هذا الحديث جاء مجملا ولا نص بتحديد الوقت فيكون الذى جاء فيه نص بتحديد الوقت مبينا لهذا على عادة أصل الحديث فى ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ولا تحينوا بصلاتكم ﴾ معناه تتحروا وتقصدوا طلوع الشمس ولا غروبها وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فانها تطلع بين قرنى شيطان أو الشيطان ﴾ الشك هنا من الراوى

وفيه دليل : على فضلهم وتحريهم فى النقل كما تقدم فى غير ما موضع ﴿ وهنا بحث ﴾ فى قوله عليه الصلاة والسلام بين قرنى الشيطان هل هذا على ظاهره أو هو على معنى آخر وان كان على ظاهره كيف تكون الكيفية والشمس إنما هى فى السماء الرابعة والشياطين ممنوعون من سماء الدنيا فكيف بالرابعة ﴿ فالجواب ﴾ والله أعلم إن قلنا أنه على ظاهره فقد جاءت صورة الكيفية فى ذلك وهو أنه ينتصب لها عند طلوعها وكذلك عند الغروب وكل شىء ينتصب للشمس فى ذلك الوقت يمتد ظله على الأرض ثم يقوى للكفار الذين يعبدون الشمس فيسجدون لها فيكونون قد سجدوا والظل قرنه وهو يقنع من بنى آدم بما أمكنه من أى وجه قدر ويغوى المؤمنين المصلين حتى يتحروا بصلاتهم ذلك الوقت فيحصل له فى عبادتها مشاركة ما وقد قالت عائشة رضى الله عنها فى قول مولانا جل جلاله (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) والله ما تركوها وإنما أخروها عن وقتها وتشبه مكيدته هنا كما فعل بحواحين حملت فخوفها مما فى بطنها ثم قال لها سميه عبد الحارث لأن اسمه الحارث ورجاها بكل خير إذا سمته بذلك كما نص الله عز وجل على ذلك فى كتابه حيث قال (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما أتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) واحتمل أن يكون على معنى ثان وهو أنه لما كان هذا وقت تعبد الكفار وجميع تعبدات الكفار إنما هى من الشيطان فكان هذا الوقت مما يعبد فيه الشيطان وقد نهينا أن نتشبه بأهل الكتاب فكيف بغيرهم واحتمل الوجهين معا

وفيه دليل : على تحقيق الاخلاص فى العبادة يؤخذ من النهى عن هذه الأوقات من هذه الشبه الخفية التى لا نعلمها

وفيه دليل : على كثرة ما خص الله تعالى به هذه الأمة من الخير بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم الذى قد نبهنا على جميع مكائد عدونا بمثل هذا الحديث والأحاديث التى تقدمت والتى بعد حتى لم يبق له مكيدة إلا نبهنا عليها وبين لنا المخرج منها والتحرز منها صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة والتسليم فيه وفيما تقدم من الأحاديث دليل على كثرة اشتغال هذا العدو بنا وأنه لا يغفل ﴿ ويترتب ﴾ على ذلك من الفقه التيقظ لذلك والاشتغال بقهره وزجره والأخذ فيما يغيظه من الأقوال والأفعال ويقطع ظهره أعاننا الله على ذلك بمنه

وفيه دليل على عظيم لطف الله تعالى بهذه الأمة الذى جعل لها المخرج من ذلك كله بأيسر الأمور وأقربها وهو ذكره عز وجل والتعلق به يؤخذ ذلك من قوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) ففى نفس الاستعاذة به عز وجل ذهبت حيل العدو كلها يالها من نعمة لكن قل فاعلها لأن صاحب الجهل محروم لأنه يتبع عدوه دون حجة ولا برهان ثم يوبخه يوم القيامة بقوله (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) فمن الحمق مصاحبة العدو ومعاداة الحبيب جعلنا الله ممن عادى عدوه وصحب حبيبه بمنه

(١٧٠) ﴿ حديث الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان عند وسوسته ﴾

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ

ظاهر الحديث لا اخبار باستدراج الشيطان بكلامه بالحق أولا لكى يصل به إلى إلقاء الباطل ليقع بالاصفا إليه الخلل فى الايمان وهو أكبر مقصوده والكلام عليه من وجوه

﴿ منها ﴾ ماذكرنا فى الحديث قبل من كثرة حيله علينا واشتغاله بنا ﴿ ومنها ﴾ أيضا كثرة نصيحة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلينا وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على عداوته ومكائده ﴿ ومنها ﴾ تعليمه صلى الله عليه وسلم للناس كيف المخرج منها ﴿ ومنها ﴾ عظيم لطف الله تعالى بنا الذى جعل لنا المخرج من هذا الأمر العظيم بأيسر شىء وهى الاستعاذة به عز وجل يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فليستعذ بالله ﴾

وفيه دليل : على أن مولانا جل جلاله منزه عن أن يكون من شىء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام حتى يقول ﴿ من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ﴾ أى من ذكر المحال وقد تقدم الكلام على هذا فى أول الكتاب من طريق العقل والنقل بما فيه كفاية فأغنى عن ذكره هنا

وفيه دليل : على أن الخطرة من الشر لا يؤاخذ بها يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فاذا بلغه فليستعذ بالله ﴾ أى إذا استعذتم بالله فلا تؤاخذون بتلك الخطرة ولا تضركم ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم إنا نجد فى نفوسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال عليه الصلاة والسلام « أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان » أى فى تعاظم الأمر ودفعه لا فى نفس وجوده وهو مما يشبه هذا المعنى الذى نحن بسبيله

وفيه دليل : على أن إغواء العدو لا يكون إلا مع الغفلة يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فلينتبه لأنه لو كان منتبها لما أصغى إلى قول عدوه حتى استدرجه إلى محض الباطل ولذلك يذكر عن عيسى

عليه الصلاة والسلام أنه لقيه اللعين فقال له قل لا إله إلا الله فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام « كلمة حق ولا أقولها عن أمرك » هكذا يكون التحرز من العدو لأنه إذا ثبتت العداوة فلا يطمع منه فى خير أصلا وإن كان ظاهر مايقوله خيرا فانه فى الضمن شر وكذلك ينبغى أن يتحذر من أتباعه فانهم منه ومثله

وفيه دليل : على أن الايمان الكامل لا يكون إلا مع الانتهاء عن المنهيات يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فليبته فلو كان كامل الايمان كان منتهيا وقد نص صلى الله عليه وسلم على هذا حيث قال المؤمن كيس حذر فطن

وفيه دليل : على أن اليقظة علامة الخير وأنه لا يكون إلا فيمن أراد الله تعالى به الخير يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فاليستعذ بالله وليبته ، وقد قال الله تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) فجعل عز وجل ذلك من صفة المتقين والمتقون هم أهل الخير والسعادة فى الدارين وقد قال غفلت ومن غفلتى أتيت

(١٧١) ﴿حديث بشارته ﷺ للفقراء بأنهم أكثر أهل الجنة﴾

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اُطَّلَعْتُ فِى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ

ظاهر الحديث الاخبار بأن أكثر أهل الجنة الفقراء وأن أكثر أهل النار النساء والكلام عليه من وجوه

﴿منها﴾ الكلام على هؤلاء الفقراء وهل هم كل من هو عديم لا مال له أو هو بشرط زائد على ذلك ﴿ومنها﴾ الكلام فى النساء أيضا هل ذلك لعلة تعقل أو أى نساء كن ﴿ومنها﴾ هل رؤيته عليه الصلاة والسلام الدارين حقيقة أو هو من قبيل التمثيل ﴿ فأما الجواب ﴾ عن الفقراء هل ذلك محمول على كل من كان عديما من المال فليس الحديث على عمومه بدليل ماجاء عنه عليه الصلاة والسلام فى حق وصف الفقراء الذين لهم المزية على الأغنياء فى قوله عليه الصلاة والسلام «إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمس مائة عام من أعوام الدنيا» فقام إليه فقير فقال يارسول الله أنا منهم قال له ألك ثوبان إذا غسلت الواحد لبست الآخر قال نعم قال لست منهم فقام ثان فقال يارسول الله أنا منهم وليس كمن تقدم أن ليس له إلا ثوب واحد فقال له ألك غذاء وعشاء قال نعم قال لست منهم فقام ثالث فقال أنا منهم وليس كمن تقدم قال ألك بيت تأوى إليه قال نعم قال لست منهم فقام رابع فقال أنا منهم وليس كمن تقدم فقال أتصبح وتمسى

وأنت راض عني الله قال نعم قال أنت منهم أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى بكثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس» وكذلك يلزم في الفقير من طريق النظر إذا كان الفقير لا يقوم بما فرض عليه فكيف يدخل الجنة وقد قال صلى الله عليه وسلم «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فان قبلت منه نظر في سائر عمله وإن لم تقبل منه ألقي في النار» أو كما قال عليه الصلاة والسلام فاذا كان فقراء تاركين للصلاة فكيف يدخلون الجنة حتى يكونوا من أكثر أهلها فدل بهذه الأحاديث أن الحديث ليس على عمومه من جميع الفقراء وإنما يكون معناه أن المؤمنين الذين يأتون ما أمروا به أكثرهم فقراء وكذلك جاء إن أول اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الفقراء لأن الأغنياء تمنعهم من الاجابة كثرة حطام الدنيا والاشتغال بها وإن دخلوا في الاسلام قل ما يخلصون أنفسهم من كثرة ما يترتب عليهم من الحقوق إلا من أيده الله تعالى منهم بمعونته والفقراء أقل مؤنة وأرق أفئدة فيحق أن يكونوا أكثر أهل الجنة وقد روي عن الحسن البصري أنه وقع نار في البصرة فأخذ مصحفا له وخرج وقال لهم يا أهل البصرة فاز المخففون مالي في بلدكم غير هذا يعني مصحفه يشير لهم إلى هذا المعنى لأنه بقلة دنياه نجى من نار البصرة بنفسه وبكل ما معه فكذلك في الدار الآخرة وأنتم يا أصحاب الأثقال والحطام كما وحلتم هنا بأنفسكم ولا تقدرون على التخليص من نار البصرة فكيف بكم في الدار الآخرة وقد قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك تدخل الجنة حبوا وكان عبد الرحمن رضي الله عنه حيث كان من أهل الفضل إلا أنه كان أغنى أهل عصره فكثرة المال توجب كثرة الحساب وكثرة الحساب يبطىء بصاحبه عن الجنة وإن كان يتخلص فلما سمع ذلك منها وكان قد أتته ثمانون بعيرا من الشام بالمتاع وهي والغلمان الذين كانوا أتوا بها وما كان عليها الكل له فقال رضي الله عنه هي في سبيل الله بكل ما عليها والذين أتوا بها «على أن أدخلها مشيا»

وفيه دليل: على أن أكثر الصالحين الفقراء يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهلها الفقراء

وفيه دليل: على أن الغالب على الأغنياء عدم التوفيق يؤخذ ذلك من كونهم قليلين في الجنة

وفيه دليل: للزاهدين الذين رفضوا الدنيا لكون حرامها عذابا وحلالها حسابا فلا راحة فيها لصاحبها يؤخذ ذلك من أن أكثر أهل الجنة الفقراء ﴿وأما الجواب﴾ عن النساء وكونهم أكثر أهل النار فقد بين صلى الله عليه وسلم علة ذلك في غير هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط

وفيه دليل: على أن الأعمال سبب لدخول الجنة أو النار لأنه صلى الله عليه وسلم قد علل كثرة دخول الجنة بالفقر والنار بكفر العشير وقد قال عز وجل ﴿بما كسبتم وبما أسلفتم﴾ والآي والأحاديث في

ذلك كثيرة وفيه بالضمن التحريض على حسن العمل والنهى عن سيئه وأما قولنا نعم رآهم حسا أو تمثيلا احتمل الوجهين معا والقدرة صالحة لهما

وفيه دليل : لأهل السنة الذين يقولون بأن الجنة والنار مخلوقتان حسا موجودتان يؤخذ ذلك من جعله صلى الله عليه وسلم لكل واحد منهما أهلا من بنى آدم وبنوا آدم محسوسون ولا يستقرون إلا فى محسوس أيضا

وفيه دليل : على أن الخير والصلاح فى الرجال أكثر من النساء يؤخذ ذلك من أن أكثر أهل النار النساء وهذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم تسلية للفقراء حتى يطيب لهم حالهم فانه إذا كانت تلك الدار المباركة هم أكثر أهلها ارتاحت نفوسهم لذلك فما أرفقه عليه الصلاه والسلام بأمته وأكثر إيناسه لهم فجزاه الله عنا خير جزاء بمنه والحمد لله رب العالمين

(١٧٢) ﴿ حديث أول زمرة تدخل الجنة ﴾

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَتَمْخَطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

ظاهر الحديث الاخبار بحسن أول زمرة يدخلون الجنة وما لهم من النظافة وحسن أزواجهم والزمرة الجماعة والكلام عليه من وجوه

﴿ منها ﴾ لم شبه عليه الصلاة والسلام صورهم بصورة القمر ليلة البدر وذلك لأنه أجل شىء فى هذه الدار ولو كان شىء فى هذه الدار أتم جمالا منه لشبههم به ﴿ وفيه بحث ﴾ وهو لم قال عليه الصلاة والسلام صورتهم ولم يقل وجوههم ﴿ والجواب ﴾ أنه عليه الصلاة والسلام ما أراد من تمثيل صورتهم بصورة البدر أنهم مثله ليس إلا وإنما القمر هو نور ليلة البدر بكمل نوره فيكون معنى التشبيه أنهم نوريون فى أتم ما يكون من النور بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وقال عليه الصلاة والسلام « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا ومافيها ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها » يعنى خمارها خير من الدنيا ومافيها » فاذا كان سواره يطمس ضوء الشمس فكيف يكون وجهه مثل البدر هذا مستحيل فبان ما أشرنا إليه أنه عليه الصلاة والسلام ما أراد إلا تمام نورهم بحسب نور تلك الدار فكذلك شبه عليه الصلاة والسلام بالصورة ولم يذكر الوجه ولا شيئا من الحواس كما مثل مولانا

جل جلاله فرشهم فقال (بطائنها من استبرق) الذي هو أعلاما في هذه الدار ولم يخبرنا عن الوجوه لأنه ليس في هذه الدار شيء يشبهها

وفيه دليل : على أن حسن الخلقة من جملة النعم وفيه أيضا ما يقوى ما قلناه لأنه إذا كانت زوجاته يرى من أحدهما مخ الساق منها الذي هو داخل العظم من وراء الجلد ومن وراء سبعين حلة فكيف يكون وجهها فيرى الساق منها أجمل من القمر هنا فكيف الوجه ﴿ وهنا بحث ﴾ لم قال عليه الصلاة والسلام زوجتان وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن أقل أهل الجنة منزلة يكون له اثنان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم» فاذا كان أقلهم منزلة باثنين وسبعين فكيف بأعلاهم ﴿ والجواب ﴾ والله أعلم أن حسن هاتين الزوجتين هو أعلا حسن الزوجات هناك ومن أجل ذلك فضل هؤلاء بأن أعطوا منهن اثنتين ويكون ذلك مثل شراب أهل الجنة المقربون يشربون من عين التسنيم ويمزج به شراب الغير كما أخبر الحق جل جلاله بقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) حتى يكون لهم التفضيل في كل شيء في الجمال والأزواج والشراب وكذلك الفواكه كما أخبر بقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون)وقال تعالى في أصحاب اليمين (وفاكهة كثيرة) ففي مثل هذا فليتنافس المتنافسون وقد ذكر عن بعض المتعبدين أنه رآه بعض إخوانه قد أجهد نفسه في العبادة فأخذ يندبه إلى الرفق قليلا فقال له لا أقدر لأني رأيت فيما يرى النائم حورية من حور العين لها حسن وجمال فقلت لها لمن أنت فقالت لك وأنا أحبك وأخاف أن تفتر في العبادة فأفوتك فعاهدتها أن لا أفتر حتى يجمع الله بيننا فلا يمكنني نكث العهد وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون ﴾ إعلام منه عليه الصلاة والسلام بتنزيه تلك الدار عن الفضلات المستقذرة وعن النجاسات بخلاف هذه

وفي ذلك دليل : على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون أهل تلك الدار ليس لهم غائط ولا بول ولا فضلة مستقذرة مع كثرة أكلهم لأنه قد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يؤتى المؤمن بغذائه في مائدة يكون عليها ألف زبدية من الفضة في كل زبدية لون لا يشبه غيره يعني في الطعم أو كما قال عليه الصلاة والسلام يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها وهنا إذا أكل زيادة يسيرة تخمت معدته وكثرت فضلاته فهذا أدل دليل على عظيم القدرة وإن الأشياء هي بمقتضى الارادة لا بالعادة ولا باللازم وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ آنيتهم فيها الذهب ﴾ إخبار بالتمتع هناك بالذهب وهو هنا محرم وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق الكفار هو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة يعني أواني الذهب وفي إخباره عليه الصلاة والسلام بهذا أدل دليل على سعة رحمة الله تعالى وغناه عن جميع خلقه يؤخذ ذلك من كونه عز وجل قد أعطى الكفار هنا أن يستمتعوا بأواني الذهب والفضة مع كفرهم حتى لا يحرموا منه بالكلية وكذلك جعل عز وجل لهم حظا من النعيم في هذه الدار

وفيه أيضا دليل : لأهل الصوفة الذين يقولون إن أسماء الله عز وجل كلها لا بدأن يظهر من كل اسم أثر فى العباد يدل عليه فمن أسمائه عز وجل الرحمن فأعطى من مدلول هذا الاسم نسبة للكفار فى هذه الدار ومن أسمائه عز وجل المنتقم فنال المؤمنون من مدلول هذا الاسم مايلحقهم فى هذه الدار من التشويشات كل بحسب ماشاء الله تعالى وماقسم ﴿ وهنا بحث ﴾ وهو أن يقال ماحاجتهم لاتخاذ الأمشاط وهم ليس معهم قذر ولا هوام ولاشيء يؤذيهم ﴿ فالجواب ﴾ أنه قد يكون اتخاذها على جهة التنعم والترفه لأنها مما يزيد بها الحسن وأنه لم يكن هناك قذر ولا هوام يؤذى

وفيه دليل : على كمال نعيم تلك الدار وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ومجامرهم الألوة (١) ﴾ فيه دليل على فضل هذا العود الذى منه مجامر أهل الجنة وهو أيضا مثل ماتقدم فى الأمشاط لأن اتخاذهم المجامر لغير ضرورة بل هى من جملة الترفه وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ورشحهم المسك ﴾ الكلام عليه مثل الكلام على صورتهم صورة البدر لأنه أجل المشمومات فى هذه الدار ومما يبين ذلك ماذكره قبل من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ولملأت مابينهما ريحا ﴾ فأين هذا من المسك لكن يكون نسبة المثال أن عرقهم من أجل طيب تلك الدار كما أن المسك هنا من أجل الطيب فى هذه الدار وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ لاختلاف بينهم ولا تباغض إلى آخر الحديث ﴾ فيه من الفقه إن من أكمل النعيم إتفاق العيال لأنه من جملة سرور النفس ولذلك كان بعض السادة إذا رأى تغيرا فى خلق أهله قال زلة وقعت منى فيرجع فينظر مخافى النفس حتى يجد تلك الغفلة التى وقعت منه لأنه لايكون مع الرضى والاستقامة تشويش

وفيه دليل : على توافق شهواتهم يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ قلوبهم قلب واحد ﴾

وفيه دليل : على أن سبب الافتراق فى هذه الدار مافى القلوب من التباغض والضغائن فلما طهرت هناك القلوب كما أخبر جل جلاله فى كتابه بقوله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غـــل) جاء الود والسرور التام

وفيه دليل : على أن حال أهل تلك الدار على حالتين تسبيح لله تعالى مرة وتنعم أخرى يؤخذ ذلك من كونه عليه الصلاة والسلام أخبر عن تسبيحهم فى الزمان بقدر ما أخبر مولانا جل جلاله عن قدره فى أكلهم بقوله عز وجل (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقد جاء أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فصح لهم نعيم دائم مختلف الوجوه جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على سيدنا محمـــد الكريم وآله

(١) أى العود الهندى ولامانع من كون رائحة العود تفوح بغير نار لأن الجنة لانار فيها

(١٧٣) ﴿ حديث عظم شجر الجنة ﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا

ظاهر الحديث الاخبار بحسن ثمر الجنة إذ أن الراكب يسير فى ظل الشجرة الواحدة مائة عام لا يقطعها لأنه كلما كثر ظل الشجرة عظم حسنها والكلام عليه من وجوه

﴿ منها ﴾ أن يقال مافائدة الاخبار بهذا ومايترتب عليه من الفقه أمافائدة الاخبار ففيه وجوه ﴿ منها ﴾ الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى لأن خلقه عز وجل لتلك الشجرة على ذلك القدر بلا معالجة أحد دال على القدرة العظيمة التى ليس كمثلها شيء

وفيه دليل : على اطلاعه صلى الله عليه وسلم على أمور الآخرة فهى تقوية على الدلالة على رفع منزلته عليه الصلاة والسلام عند ملك الدارين وفيه تشويق السامع إذا كان من أهل التصديق والترغيب له فى العمل عليها ويترتب عليه من الفقه قوة الايمان وهو أعلا المراتب فانه إذا صدق الصادق صلى الله عليه وسلم فيما به آخبر عظم قدر القادر فى قلبه وذلك قوة فى الايمان ولا تبلغ بعمل لأن زيادة ذرة فى الايمان خير من عمل الدهر لأن المولى جل جلاله قد مدحهم بذلك حيث قال (يؤمنون بالغيب) ﴿ وهنا بحث ﴾ وهو أن يقال لم ذكر عليه الصلاة والسلام الشجرة بنكرة ولم يعرفها ﴿ والجواب ﴾ أنه لما كان المقصود ماذكرنا أولا من الفائدة على اختلافها كان من الحكمة تنكيرها أتم فى الشأن بدليل أن شهوات الناس فى الثمار المعينة مختلفة مثال ذلك قد يكون بعض الناس يحب شجرة التين ولا يحب شجرة الجوز وبالعكس فقد كان يحصل لبعض الناس زهادة فى تلك الشجرة فكان التنكير أولى وفى ذلك دلالة على مامن الله عز وجل به على سيدنا صلى الله عليه وسلم من تمام المعرفة بالأشياء وحسن إرشاده لأمته وحسن سياسته فى شأنهم كله

وفيه دليل : على أن مشى الراكب فى الغالب أكثر من غيره ولذلك مثل به عليه الصلاة والسلام ﴿ وهنا بحث ﴾ أيضا وهو أن يقال لم قال للراكب ولم يبين أى راكب هو وما المركوب لأن المركوبات تختلف فى الأجناس مثل الخيل والحمير والابل وكل جنس منها يختلف فى السرعة والابطاء اختلافا كثيرا ﴿ والجواب ﴾ هنا كالجواب على الشجرة سواء وقد يحتمل وجها آخر وهو أن يؤخذ بالوسط من ذلك حتى يكون فيه طريق بمعرفة قدرها

وفيه دليل : على ارتفاع هذه الشجرة وعظمها لأن مايكون ظلها ذلك القدر يكون ارتفاعها أكثر من ذلك وجاء أن المؤمن إذا اشتهى من جنى ثمرة ماهو فى أعلا الشجرة أنه يتدانى له حتى

يأخذه بيده والمؤمن على أى حالة كان عند اشتهائه ذلك من قيام أو قعود أو اضطجاع فسبحان من هذه قدرته وابداع حكمته جعلنا الله ممن جعله من سكانها بلا محنة إنه ولى حميد

(١٧٤) ﴿ حديث التداوى من الحمى بالماء ﴾

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحُمَّى مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ

ظاهر الحديث الاخبار بأن الحمى من جهنم والأمر بابرادها عنا بالماء والكلام عليه من وجوه ﴿ منها ﴾ أن يقال هل هذا على العموم فى الحميات كلها أم لا لأن منها ماهى باردة ومنها حامية سخنة وهل معنى إبرادها هو مايعلم من هذه الصيغة بالعادة وهو ضد الحر أو يكون معناها أز يلوها فيكون هذا على جهة التداوى وكيف يكون الابراد بالماء هل من الخارج أو من الباطن أو مجموعهما والجواب عن الأول وهو هل هذا على العموم فى الحميات كلها أو فى السخنة منها ﴿ فالجواب ﴾ أن هذا الاخبار منه عليه الصلاة والسلام هو على طريق الشفقة منه والرحمة من الله تعالى فينبغى أن يؤخذ على أتم المحتملات لأنه أبلغ فى الفائدة والذى يدل عليه حقيقة اللفظ والوجه الآخر وإن كان محتملا فليس بالقوى لأنه يحتاج إلى تقدير ضمير فى الكلام وحمل الكلام على ظاهره أولى من ادخال ضمير فيه سيما إذا لم يكن هناك معارض فكيف إذا كانت الفائدة أكثر ومما يصدق هذا الوجه قوله عليه الصلاة والسلام « إنها من فور جهنم » وقد جاء فى الحديث «إن النار اشتكت إلى ربها فقالت يارب أيأكل بعضى بعضا فأذن لى بنفسين فى كل عام نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف» فما كان من شدة الحر فمنها وما كان من شدة البرد فمنها فعلى هذا فجميع الحميات على اختلافها هى من جهنم فينبغى تبريدها بالماء لكن لمن يكون له تصديق بالحديث كما قال مولانا جل جلاله فى العسل (فيه شفاء للناس) وكان ابن عباس رضى الله عنه إذا رمدت عيناه يكتحل به ويتلوا الآية فيبرأ وكان ابن عمر رضى الله عنه إذا طلع له نبت يطيله به ويتلوا الآية فيبرأ وقد جاء بعض المتأخرين واستعمله على تلك النية فجعل له فيه الشفاء لكل شىء والحديث المأثور الذى جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فى رجل اشتكى له عليه الصلاة والسلام جريان بطن أخيه فقال له عليه الصلاة والسلام أسقه عسلا ففعل ثم أتاه بعد ذلك يشكوا له أن الأمر على حاله فقال أسقه عسلا ثم أتاه الثالثة أو الرابعة كذلك ثم شفى به فقال عليه الصلاة والسلام صدق الله وكذب بطن أخيك ومثل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى الحبة السوداء « شفاء من كل داء إلا السام» الباب فى هذا كله واحد فأهل التوفيق والتحقيق أخذوها كلها على العموم فوجدوها كذلك والأخبار فى ذلك عنهم كثيرة ومما يقوى طريقهم المبارك قوله جل جلاله (وما أرسلناك

إلا رحمة للعالمين) فينبغي أن تبقى الرحمة على عمومها لأنها من أرحم الراحمين للضعفاء المساكين وهو عز وجل يعلم ضعفهم واحتياجهم إليه ﴿وأما الجواب﴾ على قوله أبردوها فيحتمل الوجهين على انفرادهما واحتمل مجموعهما وهو الأظهر للعلة التي قدمناها آنفا لأنه من باب الرحمة فينبغي أخذ أتم الوجوه وهو جمع الوجهين معا فيحصل له التبريد على بابه والشفاء بمقتضى مافصلناه أولا وهو الحق الذي لا ينبغي أن يشك فيه وأما كيف يكون الابراد بها هل من الخارج أو ضده أو المجموع فقد جاءت الصفة عنه عليه الصلاة والسلام وهي حين حم في مرضه الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم فقال «خذوا لي ماء من سبع قرب لم تحل بعد واسكبوه بعد علي» فدل بقوله عليه الصلاة والسلام أن التبريد الذي هو التداوي هذه صفته لأن استعماله في الباطن صاحب الحمى بالعادة يفعله في الغالب منهم لا يقدرون على الصبر عنه

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام إنها من فور جهنم وقد أخرج إلى هذه الدار منها ما ذكر في الحديث الذي استشهدنا به من الحر الشديد والبرد الشديد وقد جاء أن الحمى حظ كل مؤمن من النار ويظهر في ذلك من الحكمة على مقتضى هذا الحديث الذي ذكرناه إنها على المؤمن تحلة القسم إذ هي حظه من النار وإنها للكافر تعجيل نقمة مما أعد له هناك وفي قوله عليه الصلاة والسلام ﴿فأبردوها عنكم بالماء﴾ دليل على أن الحكمة تقتضي مداواة الشيء بضده ما يكون حارا تكون مداواته بالبارد والبارد بالحار ووافق في ذلك قول الاطباء في التجربة سواء بسواء ﴿وهنا بحث﴾ وهو أن الصادق صلى الله عليه وسلم قد أخبر هنا أن الحمى من فور جهنم والأطباء يقولون إنها صادرة عن أخلاط في البدن فهل يكون هذا من قبيل التعارض او يمكن الجمع بينهما الذي يظهر والله أعلم أن الجمع يمكن بينهما بوجه وذلك أن الاطباء تكلموا على ما رأوه بالتجربة مع مرور الأزمنة وهي مقتضى الحكمة وأخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بما هو الحق بحسب القدرة فتكون تلك الحمى التي هي من فور جهنم إذا أرسلت على من شاء الله تعالى من عباده فسد مزاجه وتحركت تلك الاخلاط التي أبصرها الأطباء فأخبروا أن تلك هي الحمى وسموها أسماء عديدة مثل المطبقة والحارة والربع والغب وغير ذلك من أسمائها بحسب ما هو منصوص في كتبهم وجاء هذا مثل فعلهم مع القليل تراهم كثيرا ما يسألونه هل يطيب له الطعام أم لا فاذا ذكر لهم أنه يطيب له الطعام فرحوا بذلك وبشروه بامكان الصحة وإن المرض قد ذهب وقد جاء عن الصادق صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى وكل بالطعام ملكا وبالشراب ملكا فاذا شاء الله مرض العبد أمر عز وجل ملك الطعام وملك الشراب أن يزيلا عن العبد طيب الشراب وطيب الطعام فيكون عند ذلك بقدرة الله تعالى مرض العبد فاذا أراد الله عز وجل برأه أمر ذلك الملكين

أن يردا عليه طيب الطعام والشراب فيكون عند ذلك بفضل الله وقدرته عافية المريض فلما رأى الاطباء تلك العلامة بدوام التجربة دالة على عافية العليل نسبوها إلى نجح طبهم وتاثير أدويتهم ففرحوا بذلك فسبحان من أعطى بعظيم قدرته بديع حكمته جعلنا الله ممن عافاه في الدنيا والآخرة بمنه

(١٧٥) ﴿حديث عظم حر نار جهنم﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا

ظاهر الحديث الاخبار بعظيم قوة حر جهنم وإن هذه النار جزء من سبعين جزءا منها والكلام عليه من وجوه

﴿منها﴾ الكلام في معنى قوله عليه الصلاة والسلام أنها جزء منها هل المراد أن جميع نار الدنيا من أولها إلى آخرها هي جزء منها أو الجزء الذي أخرج للدنيا منها أو نفس الحرارة التي خلقت لها ﴿والجواب﴾ والله الموفق للصواب أما صيغة اللفظ فيحتمل الثلاثة وجوه على حد سواء وأما إذا نظرنا من طريق الفائدة فيبطل اثنان ويصح الوجه الواحد لأنه إذا قلنا إنها جميع نار الدنيا من أولها إلى آخرها فهذا لا نعلمه ولا لنا طريق إليه فكيف نجعل لنا مثالا بما لا نعرفه فهذا لا تقتضيه الحكمة ولا يعرف من فصاحة العرب وكذلك الكلام على الوجه الآخر الذي هو مقدار الجزء الذي أخرج للدنيا منها فما بقي يصح إلا قدر الحرارة التي لها فان هذا المقدار نعرفه بتحقيق الاخبار فعلى هذا يكون التمثيل بها فائدة وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «لو أن أهل النار وجدوا مثل ناركم هذه لقالوا فيها» وقد جاء أن هذه النار تستعيذ بالله تعالى أن تعاد إلى تلك النار

وفيه دليل: على أن من حسن الكلام أن يقدم المعلوم في التمثيل ثم الاخبار عن المجهول الغائب إذا أريد التعريف بحقيقته يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ناركم فقدمها في الذكر على الأخرى ليعرف قدر عظمها وفيه من الحكمة أن الفائدة تسبق للذهن به

وفيه دليل: على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون هذه أنار وتلك نار الاسم واحد وبينهما في الحرارة هذا التفاوت العظيم

وفيه دليل: على ترك التلفظ بالكلام الذي فيه الفائدة إذ هناك ما يدل عليه يؤخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم إن كانت لكافية ولم يذكروا فيماذا للعلم به وهو العذاب وما يمتحن به من أنواع العذاب بها لأن النار في الغالب لهذا خلقت

وفيه دليل : على مراجعة المفضول للفاضل يؤخذ ذلك من قول الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صلى الله عليه وسلم إن كانت لكافية ﴿وهنا بحث﴾ وهو أنه قد تقدم في غير ما موضع من الكتاب أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يتكلمون إلا بما فيه فائدة فكيف كان كلامهم هنا في شيء قد فرغ من خلقه بمقتضى حكمة الحكيم فيشبه هذا تحصيل حاصل ﴿والجواب﴾ أن جوابهم بهذه الصيغة كان لفوائد فمنها أن يكون ذلك منهم طمعا لعله صلى الله عليه وسلم يحاوبهم على ذلك في حقهم وحق إخوانهم بأمر خاص من التخفيف يؤيد ذلك فعلهم معه صلى الله عليه وسلم في غير ما موضع مما يشبه هذا منها حين أخبرهم كيف يقال يوم القيامة لآدم عليه الصلاة والسلام أخرج بعث النار من بنيك فيقول يارب وما بعث النار فيقال له تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فبكت الصحابة رضي الله عنهم عند ذلك فقال عليه الصلاة والسلام من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد منكم إلى الجنة فعند ذلك زال عنهم ما كان أصابهم من الرعب وكذلك حين تلى عليهم قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقالوا ما أطوله من يوم وأخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه يخفف على المؤمن حتى يكون عنده أقدر ما يوقع فيه الصلاة المكتوبة أو كما قال عليه الصلاة والسلام فزال عنهم ما كانوا وجدوا فهم في هذا الجواب على عادتهم المباركة المفيدة وفيه أيضا أنه عليه الصلاة والسلام أفادهم فائدة بقوله فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها فأفاد جوابه عليه الصلاة والسلام لهم أن هذه النار ليست من تلك ردا على من زعم أنها منها

وفيه دليل : على إضافة الشيء لمن يتصرف فيه وإن كان لا يملكه يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ناركم فأضافها إليهم وهي ليست لهم لأن عين جوهرها لا يمكن ملكه إلا للذي خلقه غير أن إنما تملك الشيء الذي يستخرجها منه وهو لا يدوم لأنه ساعة وعادت رمادا ومما يزيد ذلك قول مولانا جل جلاله (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) فتلك الشجرة وهي التي تخرج من الزند عند القدح به من يملكها أو كيف يقدر أحد على حبسها

وفيه من الفائدة : أن حرارة تلك النار كلها على حد واحد ويعارضنا في هذا الوجه ما جاء أنها سبع طباق وأن ماسفل منها أعظم من الذي يعلوه وينفصل عنه بأن يقال ما بين تلك الدركات من عظيم الأمر إنما هو من أجل أمر آخر منها سد المحل وله مثال هنا مثل لو أن شخصا يوقد نارا على سطح بيت وآخر يوقد مثله في بيت وآخر يوقد مثله في مطمور تحت البيت فنار الثلاثة في نفسها على حد سواء فالذي أوقدها في السطح ما منعه من إذائها إلا ما كان هناك من الهواء والذي أوقدها في البيت زجد من حرها مالم يجد الذي في السطح لانحصاره في البيت وقلة الهواء فيه والذي أوقدها

فى المطمورة أشدهم لأنه انعكس عليه دخانها ولم يخرج عنه من جميع حرها شيء فالعمل هو الذى زاد فى التعب لسده ثم أيضا زيادة أخرى كما أخبر عنهم أنه يرسل عليهم الثعابين والأفاعى وقد جاء أنه يوضع على كل مفصل من مفاصل من قدر عليه بما سبعون نوعا من العذاب أو كما قال فهذا وما أشبهه ليس من نفس حرارتها بل هو لمعنى زائد فبحسب زيادة تلك الأمور يكون سوء حال الشخص فيها ويترتب على الاخبار به من الفائدة وجوه منها الخوف ومنها ليكون ردعا عن موجبها لمن له عقل والعمل بالأشياء المنجية منها والا إذا سمع مثل هذه الأخبار ولا يرجع سامعها عن موجبها فلا يخلوا من أحد أمرين إما أن لا يصدق أو يصدق فان صدق ولم يرجع دخل تحت قوله تعالى (فما أصبرهم على النار) قال أهل العلم معناه ما أصبرهم على الأعمال التى يعلمون أنها توجب لهم النار فجاء التعجيب على بابه أعاذنا الله من ذلك بمنه وإن لم يصدق جاء ماهو أعظم وهو الكفر لأنه عز وجل قال (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فلينتبه السامع ويتدارك نفسه فى زمان المهلة أيقظنا الله من سنة الغفلة بمنه

(١٧٦) ﴿حديث إلقاء الرجل المتظاهر بالصلاح فى النار﴾

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِى النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ

ظاهر الحديث الاخبار بسوء حال هذا الرجل يدخل النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه بعد ماتندلق أقتابه وهى الأمعاء وماقاربها والكلام عليه من وجوه

﴿منها﴾ مافيه من الدليل على عظيم قدرة الله تعالى يؤخذ ذلك من كون ماعلى أمعائه من الجلد واللحم قد ذهب وهى باقية على حالها ﴿ومنها﴾ البحث على قوله عليه الصلاة والسلام كما يدور الحمار برحاه هل ذلك بسائق يسوقه أو بغير سائق احتمل الوجهين معا لكن لفظ الحديث يعطى أنه سوق عنيف وحالة سيئة يؤخذ ذلك من تمثيله بالحمار والمعلوم من الحمار أنه لا يكون منه الدوران برحاه إلا بالسوق والضرب ومن أجل ذلك شبهه عليه الصلاة والسلام بالحمار ولم يشبهه بغيره من الدواب التى تراض وقد تدور وحدها مثل البعير وغيره وليس فى الدواب أبلد من الحمار وفيه تنبيه على أن صاحب المخالفة يوصف بالبلادة وإن كان عند نفسه نبيها لأنه عليه الصلاة والسلام

قد شبه بأبلد البهائم ومما يقوى ماقلناه قوله عليه الصلاة والسلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» لأنه فى الغالب لايكون العجز إلا مع البلادة وإذا اجتمعا هما سبب الحرمان

وفيه دليل : على أن دخول النار لمن قدر عليه بها لايكون إلا يوم القيامة يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام يوم القيامة

وفيه دليل : على تصرف أهل النار فيها واجتماع بعضهم مع بعض يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فيجتمع عليه أهل النار ﴾ ويعارضنا ماجاء أن أهل النار يعذب الشخص منهم ولا يرى أحد حتى يظن أنه لايعذب فى النار غيره ويجتمع الحديثان بأن نقول النار هى سبع طباق وكل طبقة منها أمر يختص بأهلها فيكون ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث هى نار المؤمنين التى هى أخفها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ فيقولون له كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ﴾ وهذا لايكون إلا صفة للمؤمنين ويكون الخبر الثانى عن الكفار أو من شاء الله منهم

وفيه دليل : على إبقاء الميز والمعرفة لأهل النار مع ماهم فيه من الأمر العظيم يؤخذ ذلك من اجتماع بعضهم مع بعض وكلام بعضهم مع بعض ومراجعتهم وسؤالهم

وفيه دليل : على أن دخول أهل النار يكون بعنف دون اختيارهم يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ﴾ فلولا ماهو كذلك لقال يدخل النار »

وفيه دليل : على أن أعظم الأعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤخذ ذلك من تعجب أهل النار من دخول هذا الشخص النار وهم يعرفونه أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن أهل النار قد عاينوا الحساب وثواب الأعمال وأى عمل أنفع لصاحبه فلولا مارأوا قدر رفع منزلة صاحب الأمر بالمعروف والناهى عن المنكر كيف هى ماتعجبوا من دخول هذا النار وهو على ما كانوا يعلمون منه أنه من أهل ذلك الخير وصحيح هو لهم بحثهم بأن فضح نفسه بما كانت سريرته حتى تبقى القاعدة على ماهى عليه من الحق لأن تلك الدار لايمشى فيها الزور ولا يصح ﴿ وهنا بحث ﴾ وهو أن يقال هل كان دخوله النار بتلك الحالة من أجل ماكان يظهر شيئا وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويفعل ضده أوذلك لما اكتسب من الآثام أوللمجموع ظاهر الأمر أن لهما معا ولا يقع فى النفس مايقول بعض الجهال أنه لاينهى عن منكر حتى يكون لايفعله ولايأمر بمعروف حتى يكون ممن يفعله وإلا لايفعل فهذا جهل وعمى نعم ذلك هو صفة الكمال وإنما هو مكلف بالوجهين معا وهو أن يأمر بالمعروف ويفعله فاذا ترك الأمر به لكونه لم يوفق إلى فعله يكون عذابه على ذنبين فان أمر به ولم يفعله يكون عذابه على ذنب واحد وكذلك فى النهى عن المنكر هو أيضا

مأمور أن ينهى عنه وأن لا يفعله فى نفسه فاذا لم ينه عن المنكر وفعله عذب على ذنبين وإن نهى عنه وفعله عذب على ذنب واحد والعذاب والعياذ بالله على ذنب واحد أقل مما هو على ذنبين ومن هنا وقع ناس كثيرون فى تضييع الأوامر والنواهى يقولون لا تنه حتى تنتهى فيوجبون على أنفسهم عذاب ذنبين ومثله فى الأمر بالمعروف وهو غلط عظيم اللهم إلا أن يكون مثل هذا المذكور الذى كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأنه جمع على نفسه ذنبين وزاد لهما الرياء لكونه أخفى وقوعه فى المنكر وعدم فعل المعروف الذى كان يتظاهر بأنه ممن يفعله يؤخذ ذلك من تعجب أهل النار منه لما كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهو يظهر أنه مثل ما يقول لهم فلو علموا منه أنه كان حاله بخلاف ما كان يأمرهم به ما كانوا يتعجبون من دخوله النار

وفيه دليل : على أن الذى خلط عمله بالحسن والسيء أنه استحق دخول النار بمقتضى العدل يؤخذ ذلك من كون هذا كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا من أكبر أعمال الخير كما تقرر قبل لكن لما فعل مع ذلك الشر ولم يفعل الخير استحق دخول النار

وفيه دليل : على أنه من كان له عمل خير وعمل شر فانه يقدم له أولا الأخذ بعمل الشر وحينئذ يتفضل عليه بما وعد من الخير يؤخذ ذلك من كون هذا الشخص قد اجتمع له عمل خير وضده يقدم له المجازاة على الشر والحكمة فى ذلك والله أعلم أنه لما كانت الجنة دار رحمة وأنه من دخلها لا يرى شيئا يسوءه بعد فقدم للذى له العمل المخالط دار العقاب ويخرج منها بعد إلى دار الرضى ولا يمكن العكس بمقتضى الحكمة الربانية

وفيه دليل : على حياتهم فى النار وهم فيها يقظانون يؤخذ ذلك من كونهم يتكلمون ويجتمعون ويعارضنا الحديث الذى ذكر فيه أنهم يموتون فيها حتى قال بعض العلماء بظاهره وزعم أن المؤمنين فى النار موتى ولا يحسون من عذابها شيئا وهذا الحديث رد على من زعم ذلك والجمع بين هذين الحديثين كما تقدم فى يوم القيامة لأنه مواطن مواطن وكذلك النار أهلها فيها على أحوال يتقلبون تارة على نوع وتارة على أخرى وقد يكون له وجه آخر وهو أن تكون تلك الأمور التى أخبر بها فى الأحاديث وهى مختلفة إن كل حالة منها لقوم مختصين بها يشهد لهذا المعنى نفس الحديث الذى نحن بسبيله لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن ذلك الشخص مشغول بدوران لا يفك عنه ما هو فيه من تلك الحال وأن غيره أتاه يسأله عن حاله لأنهم قد اجتمعوا عليه وكذلك ما تعددت الأحوال على هذا الأسلوب لأن الأحاديث كلها صحاح التى قد جاءت فى هذا الشأن وهى كلها أخبار والخبر لا يدخله نسخ لم يبق إلا الجمع بطريق التأويل نحو ما تقدم ويكون فائدة هذا الحديث التنبيه على توفية ما يجب على الشخص من الواجبات فى نفسه وغيره لأنها هى الطريقة المخلصة من الله تعالى علينا بها بفضله